



١٥

العالم المزيف

جمال شاهين

لمكتبة الخاصة ٢٠٢١



بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهين



١

" حياة الأسرة في خطر ،إنهم يريدون أسرار برنامج التحديث في القوات المسلحة "

هذه الكلمات نطق بها المهندس الركن العميد " فارس شولكم " وهو يضع سماعة الهاتف لزوجته أم عمر التي تقف بجواره ، وكلها قلق وخوف لهذا الهاتف الليلي عند الثانية ليلا من نوفمبر (١٩٩٣) فقالت الزوجة وهي ترتجف مما سمعت : من هم هؤلاء الذين يريدون هذه الأسرار ؟ !

مشى المهندس نحو كنبة في صالة البيت وجلس عليها وزوجته خلفه ، ثم جلست قريبا منه فسمعته يقول ويردد : من هم ؟! .. لا أدري .. إنهم يهددون ويتوعدون وسينفذون إن لم أسلم الرسومات والوثائق وأرضخ لمطلبهم وأتعاون معهم .

قالت برعب : إنهم يعرفونك ويعرفون دورك في البرنامج !

قال: بالتأكيد ، ويعرفون مدارس الأولاد وأرقام الهواتف وبيتنا هذا وبيت والدي ووالدك .. والجميع بخطر إن لم أبيع لهم نفسي وشرفي ...

فقلقت الزوجة وقد أدركت الخطر الذي يتحدث عنه الزوج وقالت : وماذا ستفعل ؟!

قال: أفكر بالتحدث مع رئيس الدولة مباشرة .

قالت برعب : وقد يكون هاتفك مراقبا من قبلهم .

قال: سأضع الرئيس في الصورة .. الأمر خطير ومخيف .. فأنا منذ استلمت هذا المنصب وأنا أتعرض لمضايقات ومكالمات ، وطلب التعاون ، وأن الملايين في انتظاري في بنوك زيورخ وفينا

هتفت قائلة: ملايين .. إنهم أقوياء !

فقال فارس بقوة وتحد لمع في بريق عينيه : الله أقوى ! .. ووضع الحرس على الأولاد أمر مخيف يا نعمى .. أمر محرج ومثير للخوف والقلق في نفوسهم ..

قالت برعب : عليك إخبار رؤسائك يا فارس !

فقال مفكرا وبحيرة : الوضع دقيق وحساس .. فأي الرؤساء أكلم ؟ .. الوزير .. مدير

الاستخبارات العسكرية .. رئيس هيئة الأركان للقوات المسلحة .. مساعديه .. أمورنا بعد الحرب التي انتهت منذ سنوات مضطربة .. خلايا التجسس كثرت في الجانب العسكري والجانب المدني .. قل المخلصون للوطن والبلاد .. فهناك عملية تطهير وترتيب داخل القوات العسكرية والأمنية المختلفة .

فتسألت الزوجة فقالت : وهؤلاء لماذا يريدون خطط وبرامج التحديث للجيوش ؟!

فقال فارس وهو يتنهد بعمق : تباع لدول معادية أو دول صناعية أو جهات أخرى .. أو إسرائيل العدو الأول للعرب والمسلمين.

فقالت نعمى بعد صمت وتريث يسير : تحدث مع أخي خليل .. فهو ضابط أمن ومخابرات

فقال فارس : فكرت بذلك ؛ ولكنّ أخاك ضابط صغير ملازم أول ، قد لا يُسمع كلامه ويهتم به .. فهذا التهديد سيسيء للرجال الأوائل الذين استلموا المنصب من قبلي .. فهل كانوا يبيعون شرفهم العسكري من أجل المال والأرصدة ؟ فالهزيمة كانت قاسية ومؤلمة لكل الأجهزة ، وكشفت الكثير من العيوب والترهل والموت مات الكثير من الأفراد والعسكر .. أم أنا أول ضحية ومطارد لهم .. أنا على نفسي لست خائفا ؛ ولكني خائف عليك وعلى الأولاد .. وصمتي قد يسيء لسمعتي وشرفي العسكري ويثير الشبهات حولي يا نعمى .

قالت : شاوره .. فخليل شاب ذكي وفطن ربما أفادك ؟

قال: أخشى أن يتعرض للأذى .. فهؤلاء الجواسيس لهم جواسيس وعملاء فمن عادة الجواسيس أن يشكلوا شبكات سرية وجماعات وخلايا متعددة .. ولهم ثلاثة شهور يطاردونني بالهواتف والعروض وخشيت أن ألتقي بأحدهم فأقع في فخهم وأضعف أمامهم أريد أن أعرفهم من غير الجلوس معهم .

فقالت الزوجة الحائرة والخائفة من القضية المثيرة :أنا سأخبر خليلا بذلك، فهم يعتقدون أنك لا تتحدث أمامي بهذا الخطر .

قال : أنا كنت أكتم عنك ذلك قبل الليلة خوفا من بث الرعب والخوف في نفسك ؛ ولكن

قلقي عليكم دفعني للقول الليلة ؛ وربما تكون حياتي في خطر ويتخلصون مني برصاصة أو بسيارة مسرعة فلا تعرفون سبب هلاكي ؛ فهذا هو الذي دفعني الليلة لمصارحتك بسر هذه المكالمة .

فأخذت الزوجة التي تضطرب من الخوف تشجع زوجها وتثبته على الصمود والصبر وعدم الضعف لهؤلاء الشياطين .. وبعد ساعة من الحديث دخلا من جديد إلى مخدع النوم .

* * * *

كان هناك أيضا الطيار العسكري العميد " زيد عبد القادر " يتعرض لتهديد شبكات التجسس في البلاد ، فهو قائد قاعدة عسكرية لسلاح الطيران وفي فريق تحديث الجيش والسلاح ، فقد تلقى كثيرا من هواتف الإغراء والتعاون ثم بدأ التهديد والوعيد .. وهو يجهل هذه الجهات أو الأشخاص الذين يطاردونه ويطلبون الاتفاق معه .. وفي تلك الليلة من نوفمبر استيقظ على جرس الهاتف ، واستمع لتحذيرات وتهديدات العصابة ، ولم ينتبه زيد أن ابنته الشابة قد فتحت الخط من غرفتها واستمعت للمكالمة الخطيرة فاصفر وجهها وارتسم الخوف على وجهها وعينيها وبدنها وأدركت الخطر المحدق بوالدها إن لم يتعاون مع هؤلاء الأشرار .. فجلست في فراشها ووضعت الكتاب الذي كانت تطالع به .. فهي لم تنم بعد .. فأمها وأخوها محسن ظلا في العرس وعادت مع والدها .. ولما تناولا طعاما خفيفا دخل كل واحد منهما لحجرته .. فلم يغلبها النوم فأخذت تقرأ في كتاب ساعة من الزمن عندما رن جرس الهاتف فرفعت السماعة لا شعوريا أو بحكم العادة ، وقبل أن ترد سمعت والدها يرد ثم سمعت الحوار الرهيب .. التهديد والتخويف .. أخذت تفكر بالخطر المحيط بالعائلة وتتسأل عن هؤلاء المجرمين فهمست لنفسها : أبي من كلامه معهم فهو لا يعرفهم ، ولا يريد التعرف عليهم ؛ ولكنهم يصرون على تعاونه معهم أو تعرض أهله للضرر والخطر على أيديهم .. ماذا أفعل ؟! هل أحدث والدي بأنني سمعت هذه المكالمة أم اصمت أم أتحدث لأحد ؟! .. ماذا ستفعلين يا لمياء ؟!

لم تستطع لمياء النوم مما سمعت ومن التفكير فقامت ودخلت المطبخ لتصنع القهوة فسمعت والدها يقول : لمياء ألم تنامي بعد ؟ .. ما بك ؟!

قالت: كنت أقرأ ، ولم أستطع النوم رغم شدة نعسي ونحن في الحفلة .. هل أصنع لك فنجانا يا أبي ؟

فقال بقلق : لا بأس .. هل سمعت رنين الهاتف قبل ساعة من الزمن ؟!

فقالت بشجاعة : سمعته وسمعت المكالمة من غير قصد يا أبي .. رفعت السماعة من غير قصد ولكن بحكم العادة لأرد ظانة أنك نائم فجرى ما جرى .. وأنا خائفة عليك يا أبي ؟!

فتبسم وقال : بل أنا خائف عليكم .. فأنا أستطيع الدفاع عن نفسي .. لا تخافي عليّ يا لمياء .. هل أخبر أمك وأخاك بالأمر ؟!

فقالت: محسن ممكن ؛ ولكن أمي لا أدري يا والدي الشجاع !

قال مشجعا : سأخبرهم .. وعليكم بالحذر أثناء قطع الشارع عند الركوب في السيارات أثناء تناول الطعام في المطاعم والمقاهي .. لسوف أعرف من هؤلاء الأشرار المجرمون ؟

بعدما شربا القهوة قالت لمياء : ماذا ستفعل يا أبي ؟ ألا تريد أن تكلم رؤساءك بخطرهم وإجرامهم ؟

قص عليها زيد قصة بداية التهديدات والإغراءات ثم قال : أفكر أن أتحدث مع ضابط الاستخبارات في القاعدة ؛ فلربما صدقني واقتنع بكلامي ، فهو لا يحبني منذ تصرفت معه في موقف بما لا يليق مني ؛ ولكني كنت منفعلا وأنا أعلى منه رتبة .. أخشى أن يسخر من قصتي ويعترض لماذا لم تقل ذلك منذ البداية يا كابتن زيد عبد القادر ؟ وكان القائد يقلد صوت ضابط أمن القاعدة العسكرية للطيران .

****

في نفس الليلة كان بيت العالم الكيميائي " الدكتور رونسو مايكن " مسرحا لحدث خطير ، فعندما خرج من معمله الخاص الموجود داخل القصر الصغير .. ووضع له الخادم الأسمر

سقراط العشاء الخفيف ، وتركه يتناول الطعام بهدوء وهو يشاهد احدى محطات التلفزيون .. ولما رفع الطعام وأخذ يشرب الشاي كان غارقا في التفكير .. ولما اقترب الوقت من نصف الليل استأذنه الخادم سقراط بالنوم فأذن له .. ثم تكلم في الهاتف بضع دقائق ونزل لحديقة القصر .. ودار حول القصر عدة دورات ، ثم تحدث مع حراس الأبواب ، ثم قفل عائدا للبيت ، وصعد الدرجات في الطابق الثاني حيث مخدع النوم ومعمل التجارب .. فتح حجرة النوم وجلس على مقعد فيها واستغرق في تفكير عميق لم ينم ..بماذا يفكر رونسو ؟ عند الثانية ليلا طرق عليه الباب فدهش وهمس لنفسه : " ماذا يريد سقراط ؟! " ورفع صوته قائلا : ادخل الباب مفتوح .

فتح الباب ودخل رجلان مقنعان وأحدهما يشهر مسدسا ، وهو يتطلع يمنة ويسرة وسمع الآخر يقول : رونسو .. لا تضغط على أي زر .. ليس مهما أن تعرف من نحن ؟ .. عليك أن تعود لبلادك خلال أسبوع اليوم الثلاثاء .. يوم الأربعاء القادم تكون حياتك في خطر .. ستموت يا رونسو .. عد لبلادك ولا داعي لإجراء تجاربك هنا .. ها أنت ترى أن وصلنا إليك رغم وجود رجال يحرسون الفيلا .. هل تسمع ؟ حياتك تحت الموت .. وداعا !

لم ينبس رونسو بأي كلمة فقد ذهل وصدم فانهار جالسا على كرسيه يفكر بالتهديد الخطير ؛ كأنه في حلم وليس في يقظة ، فقال لنفسه : هل هم من أعداء الدولة ؟ أم من رجال الدولة ؟! نهض عن المقعد بعد حين وأخذ يتطلع من ستائر النافذة وهو يقول : من أين دخلوا ؟! هل في الحرس من خائن ؟! المال يهين الرجال .. الحارس بقليل من المال يتساهل وينسى واجبه .. هل أحدث أحدا بقصة الليل ؟ هل أكلم الحاكم الأعلى لهذه البلاد ؟ أم هل أهرب إلى بلادي كما يطلبون ؟!



في قاعة تحت الأرض من عمارات المخابرات العامة ، كان مدير المخابرات يعقد اجتماعا مهما وخطيرا مع كبار ضباط الجهاز ؛ وبالأخص ضباط مكافحة التجسس وأجهزة المخابرات المعادية للدولة القطرية ، فلما شرح لهم قضية اقتحام فيلا الدكتور الخبير رونسو مايكن والتهديد الكبير الذي تعرض له طلب منهم الحركة والنشاط في رصد الخلايا والشبكات المعادية ، وتعهد أمامه مدير مكافحة التجسس اللواء حمدي رامز بالوصول للرجلين الذين تسللا للفيلا ولمن يقف خلفهم ، ولما انسحب مدير المخابرات من القاعة السرية ظل فيها مدير مكافحة التجسس اللواء الركن " حمدي رامز " ومدير الاستخبارات العسكرية اللواء مروان احمد ومساعدوه في كل أسلحة الجيش البر والبحر والجو ومساعدوه في مختلف التخصصات ، ونائبه اللواء الركن " مرسم لازمي " فأعاد اللواء حمدي التأكيد على المسارعة في الوصول للرجلين ومن خلفهما فإن رئيس الدولة مهتم بالقضية .. ولما سأله أحدهم عن الخبير الكيميائي رونسو أجاب حضرة المدير " هو بخير ولكن حياته في خطر " ثم سكت لحظات ثم قال : بالتأكيد أن العصابة والأعداء سيعرفون أنه لم يسافر وأننا أخفيناه بمكان سري "

وعرض عليهم مدير دائرة مكافحة التجسس صورا تقريبية لرجلين ملثمين والقامة واللباس ثم قال : هذا أمر صعب في الواقع وقد يكون من المستحيل التعرف عليهما من هذه الصور المتخيلة لقلة المعلومات التي أدلى بها العالم ؛ ولكن رجل الأمن ربما استفاد من ذلك في ظرف ما .

وحثهم الضابط الكبير على قراءة تقارير المخبرين المختلفة ؛ فلربما يستفيد أحدهم من عبارة أو جملة من أحدهم.. ولما فض الاجتماع ارسل مدير المكافحة العسكرية اللواء مروان وراء المقدم " أمين حسن" وكلفه بمتابعة قضية المهندس فارس شلوكم ، فقد طلب مني الرئيس مباشرة الاهتمام بهذه القضية ، فالرجل خاطب الزعيم مباشرة ، فشكره أمين على ثقته به

وقال أمين : أرجو أن أكون عند حسن الظن .. سأرتب لقاء سري مع المهندس لأسمع كل ما عنده .

قال : تحرك بسرعة فالمهندس قلق للغاية .. مفتاح الحركة بينكم" آمين " مرتين .. ضع رقابة حول البيت ، رقابة ذكية لا نريد أن يشعر بها هو ولا أفراد العائلة أي شعور وحس .. فارس يحمل أسرارا مهمة وخطيرة عن مشروع التحديث والتطوير ؛ فاذا سقط فأن ذلك سيشكل لنا كارثة .. لا تنسوا مراقبة هواتف البيت العامة والخاصة .. اذهب الآن وخطط للقاء به بلقاء سري جدا جدا .

عاد أمين حسن لبيته بعد أن أطلع على ملف المهندس فارس من قيادة الجيش والأمن العسكري .. رجل نظيف وذكي شجاع وسلوكه جيد خلال سنوات الخدمة الطويلة وملتزم بالأنظمة والتعاليم بشكل ممتاز وترقى في درجات ورتب الجيش بشكل اعتيادي ويحمل عددا كبيرا من أوسمة الاستقلال والحرية والشجاعة والفروسية والصقور ووصل إلى منصبه بجدارة واستحقاق بدون واسطات .. وقرأ ملف الدورات التي اشترك فيها الرجل وعرف مكانها وزمانها ، اطلع على كل ذلك قبل أن يدخل البيت ، وبعدما استراح ساعة من الزمن أخبر زوجته أنه في مهمة فلا تقلق عليه ، ودخل غرفة خاصة بالفيلا الخاصة به .. وتنكر بشخصية أخرى شخصية قاضي محكمة شرعية إسلامية .. ومن باب صغير خلف الفيلا نفذ إلى الشارع مشيا على الأقدام حتى وصل للشارع العام الذي يبعد عن البيت مائتين خطوة وأشار لسيارة أجرة فأقلته إلى حيث يقطن المهندس فارس وقبل الوصول للبيت بمائتي خطوة تقريبا نقد السائق أجره ومشى نحو بيت المهندس فارس شلوكم .. وتحدث مع بواب القصر فقال البواب الكهل : نعم يا مولانا القاضي .

قال أمين بلهجة بطيئة وثقيلة : السيد فارس أموجود في البيت ؟

ـ نعم يا سيدي القاضي .. هل من حاجة إليه يا مولانا ؟

كان أمين يتفرس بالبواب الشيخ بشكل خفي ودقيق فلما سمع السؤال رد قائلا بنفس اللهجة

السابقة : قل له إن القاضي موسى يريده في تعيين قريب وتسجيله في الجيش يا سيد ..
فأدرك الحارس البواب أن القاضي يريد أن يتوسط المهندس لقريبه بالعمل داخل الجيش ، فشعر بالفرح وقال : البيك لن يبخل عليك بذلك يا سيدي القاضي .. وأنا اسمي عبد السلام محمد يا مولانا القاضي .
قال : بارك الله فيك يا أخ عبد السلام .. اتصل بالمهندس .
اتصل البواب بالداخل فردت الزوجة فحدثها عن زيارة فضيلة القاضي موسى للمهندس في شأن واسطة لقريبه ، ولما حدثت زوجها بأمره وأمام دهشتها أمر بإدخاله ، فأغلق البواب الباب وتقدم بين يدي القاضي حيث صالة الفيلا حيث استقبله المهندس ، والهم واضح على وجهه وبادي في عينيه ، رحب الزوجان بالقاضي موسى ثم انصرفت الزوجة لإحضار القهوة فهمس القاضي بأمين حسن فذعر المهندس وقال : أهلا بالصديق أمين حسن .
ـ أنا الآن القاضي موسى سالم .
وأخذ بتشجيعه على الثبات والتحمل للإيقاع بالمجرمين وتواعدا على اللقاء في مكان رسمه له أمين .. ولما عادت الزوجة وجدت زوجها يعد الشيخ القاضي بالتوسط لقريبه في التعيين لدى القوات المسلحة ، وشربوا القهوة جميعهم ثم غادرهم القاضي موسى ، ولما انصرف الرجل عاد الانبساط للمهندس فارس ، وعلم أن الدولة مهتمة بقضية مطارديه لتوريطه في التجسس والعمل ضد أمن البلد ، فعادت لنفسه الثقة برجال المخابرات والمكافحة رغم الهزيمة القاسية التي لحقت في البلد في الحرب الأخيرة مع العدو المتربص .
لما خرج المهندس فارس من الاجتماع الأسبوعي مع رئيس الأركان العامة لم يغادر القيادة نحو مكتبه في معسكرات تحديث الجيش ؛ بل سار نحو مطعم الأفراد والجنود الصغار ، وهناك في نادي الأفراد التقى بأمين حسن ، ثم مشيا معا نحو غابة صغيرة وعندها ثكنات الحراس والجنود ، وتحت شجرة جلسا فاستمع أمين للمهندس الركن العميد قصة الاتصالات والإغراءات فقال : بعدما تم تعييني رسميا في المنصب .. تحدث معي شخص مهنئا وأثناء

الحوار والمجاملة أخبرني أنه رسول جماعة مهتمة ببرنامج تحديث الجيش وأنهم يرغبون بلقائي .. فاعتذرت ثم تكرر الاتصال منه ثانية وثالثة وأنا أترجاه أن يبتعد عني وكان يعرض عليّ خلال ذلك مجرد لقاء واحد فقط .. فأبيت وتحدث عن الملايين والأرصدة والحساب المفتوح فأخذت أعامله بالشتم والسب وهو يقابلني بالضحك ثم أخذوا يتهددونني وأنني اذا أصررت على عدم التعاون معهم سيعملون على تدمير حياتي أو قتلي أو أولادي أو أقاربي .. وأنا حائر بالرد ولمن أتحدث ؟! .. وآخر ما كان اتصالهم بي منذ عهد قريب بعد نصف الليل وفي هذا الشهر نوفمبر الذي نحن فيه ولحساسية الموضوع وخطورته وخلال لقاء قصير برئيس الدولة أسررت له بذلك الخطر الداهم ، فوعدني خيرا وتحدث مع اللواء حمدي رامز مدير مكافحة التجسس ، ثم وعدني حمدي رامز بلقاء معك وها نحن نلتقي يا حضرة المقدم .

فقال أمين : اطمئن يا حضرة العميد سنكون عند حسن الظن إن شاء الله تعالى .. وأنا قرأت ملف خدمتك بالتفصيل وملف الدورات التي شاركت فيها هنا وهناك .. فوجدتك نموذجا للعسكري الملتزم الناجح .. واطلعت على ملفات زملائك في مشروع التحديث والخطط المعروضة والدراسات وأظن لحتى الآن أنكم على قد المسؤولية الملقاة على عاتقكم .. وأمام ذلك يا سيدي العميد سنبدأ العمل ونحن مطمئنون لإخلاصكم للدولة والنظام ونحن نريد أو قل أنا أريد منك أن تقبل اللقاء مع هؤلاء ، وعليك أن تشعرهم أنك وافقت لأنك خائف على أفراد الأسرة وأقاربك من غدرهم ، ولديك بعض الحاجة للثروة الكبيرة .. عليك بالمراوغة يا سيدي قبل الموافقة وأنا سأقدم لك الأوراق التي ستدفعها لهم أثناء العمل معهم اذا اضطررنا لذلك .. وأنا سأدبر طرق اللقاء بك خفية للتشاور ومعرفة أسرار كل لقاء .. ثم هم بالطبع ربما ؛ بل قد يكون من الأكيد أنهم لن يلتقوا بك بعد هذه الممانعة بسرعة سيحاولون معرفة سبب رضوخكم وتغير موقفكم بعد تشددك في الرفض .. ناور وراوغ .. سيتعاملون معك بحذر وذكاء ويجب علينا أن نكون نحن أذكى وأفطن منهم .. وهذا التعاون بينا يجب أن يكون سري للغاية لا تحدث به أحدا لا زوجة ولا ولدا ولا أخا ولا صديقا ..

وأنا سأتردد عليك ابتداء على صورة القاضي موسى مظهرا أنني أضغط عليك من أجل تجنيد قريبي وبعد حين ستراني بشخصية أخرى .. تأكد أني معكم بكل ثقل وقوة .

فقال فارس وهو منشرح الصدر رغم المغامرة المقبل عليها : أنا الآن مطمئن لقدرة مخابراتنا وكفاءة رجالنا وحماة أمننا ولن تخلو البلد من المخلصين .. أشكرك يا مقدم أمين لقد عادت إليّ الثقة والقوة من جديد .. وسنعيد بناء القوات العسكرية .

وانصرف الرجلان كل من جهة ، عاد المهندس فارس لمعسكره ، وهو منشرح الصدر مطمئن للخطوة القادمة ، وقد جاء العرض سريعا ففي الليل رن جرس الهاتف فرد فارس فسمع الصوت يقول له : إنه في خطر وإنه سيتعرض لضربة قريبا . وذكر له قصة الخبير الكيميائي وهي لم تكن سر فقد تحدثت عنها الصحافة المحلية ؛ ولكن نسبها الرجل لجماعته فهذا خطير .. فقال المهندس بعد تردد وجدل وصراخ : أرجوكم اذا أردتم إيذاء شخص فليكن أنا .. لا تؤذون أحدا غيري .

فظن الرجل أن المهندس قد وهن وضعف وقال :هذا شأننا ، ولن نبدأ بك فربما عندما ترى ابنك ميتا تقبل التعاون معنا ..

أحس المهندس أن الرجل بلع الطعم فقال المهندس : أمهلوني أياما أو أسبوعا أفكر بجد في الأمر .. أرجوكم أن تدعونا بسلام ..

الصوت : سأصبر ثلاثة أيام وبعدها إن لم توافق على المقابلة سيحدث لابنك عمر شيئا ما ..

فتظاهر المهندس بالجزع : أرجوك .. أرجوكم أعتقوني لوجه الله .. أرجوكم ..أخشى أن يكون خط الهاتف مراقبا فتسيئون لي أمام رؤسائي .

ضحك الصوت : ولو كان الخط تحت المراقبة لا تخف لن يسيء لك أحد ..

أغلق الهاتف وانقلب مسرورا مما أثار عجب زوجته من ذلك وقالت : من سيؤذون ؟!

فقال بهدوء أعصاب : لعنهم الله يريدون إيذاء عمر .. ما العمل ؟ لقد حدثت الرئيس بذلك الخطر فوعدني خيرا ؟ فقالت: هل سنمنعه من الذهاب للمدرسة ؟!

قال : وهل يصعب عليهم الوصول إليه؟ .. فقد دخلوا على الخبير الكيميائي رونسو المحاط بحرس ومخابرات .. سأتفاهم معهم مرة أخرى وألتقي بهم وأعرف ماذا يريدون بالضبط ؟ .

فهتف بقلق ودهشة : ماذا قلت ؟!



جهاز تعقب

كان المهندس فارس يفكر بطريقة يتصل بها مع المقدم أمين ليخبره بهذا الاتصال والتطور في القضية ، فكان في حيرة فأمين لم يعطه رقم هاتف أو جهاز لاسلكي ليتصل به عند الحاجة إنما كان الترتيب أن يكون أمين هو المتصل به وقتما يشاء فكان في حيرة ، وبينما هو في معسكره اتصل به أمين حسن ، ففرح بذلك الاتصال الهاتفي وكاد يحدثه بالعرض الأخير للعصابة ولكن أمينا قال له : ستراني !

ولما خرج المهندس من باب المعسكر مساء قال له احد حراس الباب وهو يشير إلى سيارة مدنية تقف قريبا من مدخل الوحدة العسكرية : هذا الشخص يريدكم يا سيدي العميد !

تطلع المهندس إلى السيارة المشار إليها فوجد فيها أمينا فصف سيارته وتركها وذهب للسلام على أمين، وجلس معه وقص عليه أمر الهاتف . فقال أمين : نحن سمعنا كل شيء .. وقمنا بتسجيل المكالمة .. فهاتفك يا سيدي تحت الرصد والمتابعة .. أنا جئت لأوكد لك ثانية أننا معك واذا وعدوك بلقاء في مكان معلوم لنا سنكون قريبين منك .. وأما اذا استعملوا أماكن ملغزة سأتصل بك لأعرف المكان .. تذكر أننا نحن الذين سنتصل بك .. لا تفكر بالاتصال بنا فلابد أنهم يراقبونك ؛ كما نفعل نحن .. فتجنيد عميل يحتاج إلى جهد كبير من الشبكات التجسسية إلى اللقاء .

انسحب المهندس من سيارة أمين ، وعاد لسيارته ثم ابتعد عن المعسكر الذي يعمل فيه ، وبعد

حين يسير تبعه أمين بسيارته الصغيرة ولما وصل رأس الشارع سار باتجاه مخالف لسيارة المهندس .

ولما انقضت الأيام الثلاثة لم يتردد رجل الشبكة بالاتصال ليلا عند الثانية صباحا ببيت المهندس وبعد التحية قال الرجل : هل فكرت ؟!

رد المهندس بصوت هامس : كيف سأراك بدون أن يعرف أحد من الخلق بهذا اللقاء ؟! .. لقاء تعارف وقصير قبل الاتفاق على أي شيء .

أبدى المتكلم سروره وقال : انتظر منا عنوان المكان .. سلام يا مهندس فارس ..

وضع المهندس السماعة وقال : حتى كلمة عميد لم ينطق بها من الفرح .. دائما يا عميد فارس .. يا عميد فارس .. أما الآن فلم يقل عميد .. ظن أن العميد سقط وخاف .. لعنهم الله !

تلقى العميد فارس رسالة قصيرة من العصابة مطبوع عليها اسم مكان ووقت اللقاء الخطير والقصير .. وملاحظة " الرجاء حرق هذه البطاقة " بالطبع لم يحرقها فارس واحتفظ بها .

وكان موعد اللقاء قريبا .. ولما التقى به أمين على باب المعسكر كالمرة السابقة واطلع أمين على البطاقة الرسالة وانصرف ، وعلى اثر ذلك غادر فارس الوحدة العسكرية .. والسؤال الذي يدور في ذهنه " هل لرجال الشبكة مجندون داخل الوحدة التي يعمل بها من أجل تطوير وتحديث أسلحة الجيش الحربي ؟! "

يوم الثلاثاء التاسعة ليلا من أول أسبوع من ديسمبر ١٩٩٣ كان العميد فارس يزلف من باب نادي الشملاوي وعلى مائدة خالية جلس ينتظر الرجل المجهول الوسيط بينه وبين رجال الشبكة الخطيرة .. طلب كوبا من الشاي وبينما هو يرشفه اقتربت منه سيدة طويلة القامة وحيته وجلست على كرسي على نفس مائدة العميد وهي تقول : أتسمح لي بالجلوس يا عميد فارس ؟ تطلع فيها لحظات وقال : تفضلي .

ولما جلست قالت وهي تتطلع في وجهه : كيف حالك ؟ .. أنا مدام سلمى .. أنا من طرف الجماعة .

قال : أي جماعة يا مدام سلمى ؟!

قالت: يسلم عليك " أبو سويلم " كثير السلام ؟

قال : آ .. أبو سويلم .. أهلا وسهلا ما أخباره ؟!

فقالت: تمام .. بعد نصف ساعة سأنصرف أيها الصديق .. فاتبعني لا تخشى شيئا

قال : أين ستذهبين بي ؟!

فقالت: في مكان آمن .. هذا مكان ملغوم برجال الأمن السري .. سنذهب بعيدا عن عيونهم وعيون الفضوليين .

ونادت على النادل وطلبت عصيرا باردا رغم جو ديسمبر المعروف ببرودته ، ثم أخذت تدردش مع العميد عن الحياة والأحلام والمال والعميد فارس يقول لنفسه " أول مرة أسمح لنفسي بالجلوس مع امرأة كهذه طويلة اللسان وثرثارة تسب الزعماء والحكماء غير وجلة .. ما سر هذه الأنثى ؟! .. يبدو أنها شبكة دولية .. يا رب سترك .. ولماذا اختاروا هذا النادي الليلي .. والعميد فارس يسهر في نادي ليلي .. يا الله !! "

فلما سألته عما يحدث به نفسه قال : هذه أول مرة في حياتي أدخل نادي ليلي يا مدام سلمى وأجلس مع امرأة ثرثارة مثلك .. هذا ما افكر به

فضحكت وقالت : ستتعود يا بيك .. هنا الكثير من علية القوم .. في صالات القمار أو قاعات الرقص والمجون والزنا ..

فقال متهكما : ومثل هذه الأماكن في بلادنا ؟

فضحكت ثانية وهي تقوم : وأكثر .. بعد قليل الحق بي سيظن هؤلاء السكارى أننا سائرون لقضاء شهوتنا .. أو نحن ذاهبون لصالة الرقص .. سلام .

ابتعدت المرأة ودفع فارس المتصبب عرقا كثيرا ثمن الشاي والعصير ومشى خلف المرأة وشاهدها وهي تخرج من الباب الخلفي للنادي وفتحت باب سيارة تقف في الشارع وقالت : هذا باب الهرب للزبائن إما من زوجاتهم أو أزواجهن أو من البوليس اذا كان هناك مطلوب

وفار .

صعد بجوارها وقال مستفهما : وسيارتي ؟!

فقالت مطمئنة قلقه وخوفه على السيارة : عندما ينتهي اللقاء ستجدها أمامك .. أحد رجالنا الأن بداخلها سيأخذونها ويتفقدونها من أدوات التعقب والتنصت ؛ ربما سولت لك نفسك الغدر بنا .. الحذر واجب يا سيدي العميد .. لا تقلق ..

قال : حسنا .. حسنا أيها المدام هذا من حقكم .. ونحن لم نتفق على شيء بعد .. أنا بعد اللقاء بالرجل الذي يتصل بي سوف أفكر وأقرر يا سيدتي .. لا يعني قبول اللقاء معكم القبول

دارت المرأة في شوارع المدينة الرئيسية والفرعية عدة دورات ؛ كأنها تحاول تضليل من يتبعها اذا كانت متبوعة فعلا أو موهمة فارسا بقدرتها على الهرب من ملاحقيها أو أنها تريد قضاء وقتا معينا لتصل لموعد وساعة معينة .. فلما اقتربت الساعة من الحادية عشرة والنصف ليلا وقفت أمام بقالة في شارع فرعي ونزلت لتشتري منها علبة سجائر وبعض المكسرات وبعض علب العصير ، ولما عادت بتلك الأشياء دفعت علبة عصير للمهندس وأشعلت لفافة وقدمت واحدة للمهندس فارس فاعتذر وقال لها بقلق ظاهر : يا مدام سلمى تأخرت عن البيت ستقلق زوجتي والأولاد لم يعتادوا على غيابي المجهول .

فقالت: اتصل بها .. وتوقفت أمام كابينة هاتف عام وقالت : هذه كابينة تحدث معها .

نزل حضرة المهندس وتكلم مع زوجته مخبرا لها بأنه قد يتأخر بعض الوقت وعاد للسيارة فقالت المرأة : نحن بالطبع يا عزيزي أمرنا دقيق ويتطلب منا الحذر .. لقد كان النادي ملغوما برجال المخابرات وأخشى أن يكونوا قد اتبعوننا من أجل ذلك أكثرت من اللف والدوران .. فمرة أخرى أقول الحذر واجب يا سيدي العميد .

قال : أنت تشكين بي ؟!

ضحكت وقالت : أنا أشك بنفسي .. نحن لا نلعب يا سيادة العميد .

وعاد الصمت بينهم ومضت السيارة في شوارع جانبية حتى وقفت أمام مقهى وقالت : انتظر

لحظات .

دخلت المقهى وتكلمت مع أحد الرجال فتبعها الرجل وسبقته للسيارة وقالت للعميد : أرأيت هذا الرجل ؟ اتبعه .

نزل العميد وتبع الرجل الذي لزم الصمت ومشى مائة خطوة ودخل في جوف سيارة ولما ابتعدت سيارة المدعوة مدام سلمى أضاء الرجل سيارته وتحرك بها نحو عمارة كثيرة الطوابق وإلى الطابق الثامن صعد الرجلان ، وطرق الرجل بطريقة خاصة على باب احدى الشقق وبعد قليل فتح لهما فقال الرجل : مدام سلمى ! وهبط من حيث صعد .

ودخل العميد المهندس فارس إلى بهو الشقة فوجد رجلا سمينا وقصيرا في استقباله ومرحبا به وساقه إلى غرفة في الشقة وسكب له بعض القهوة وقال له : أهلا بالمهندس العزيز فارس شلوكم .. يا مرحبا .. طال انتظارنا لهذه المقابلة .

قال المهندس مظهرا بعض الحدة : أين صاحبكم ؟! الرجل الذي جنني بكثرة الاتصال والمطاردة .. نريد أن نتحدث سريعا .. لقد أتعبتني هذه الملعونة .. لقد فرت بي كل شوارع المدينة ..

أخذ الرجل السمين يهدئ من ثورة المهندس ويتعذر له فقال : يا مرحبا ثانية .. فإجراءات الأمن وخداع رجال المخابرات مطلوب .. فلربما سولت لك نفسك بالتواطئي معهم .. فاقبل اعتذارنا واغفر لنا إتعابنا لكم .. فالموضوع كما تعلم خطير وعاقبته وخيمة ..

فقال المهندس وقد خفض من حدة صوته متظاهرا بمحاولة الهدوء : أرجو أن تكونوا قد اطمأننتم يا حضرة .. على عدم تعاوننا مع المخابرات ..

فقال الرجل السمين كأنه واثق من قدرة العصابة : ما دام قد وصلت إلى هنا فاحتمال كبير أن المخابرات لم تتبعك يا أبا عمر .. مع أن النادي كان الليلة الفائتة مليئا بمخبريهم .. لا ندري لماذا ؟! أيها السيد علينا أن نثق بك يا حضرة العميد .. وليس بالضرورة أن تتبعك مخابرات دولتك .. فشبكات التجسس تقوم بهذه الإجراءات والاحترازات.. فربما غيرنا طامع

بالاتفاق معك .

فقال فارس بنفس الحدة المصطنعة : هل سأتفق وأتفاهم معك أم مع غيرك يا حضرة .. ؟!

قال : اصبر أيها الرجل لقد صبرنا عليك كثيرا حتى استطعنا أن نصل إلى هذا اللقاء الخطير يا سيدي العميد .

قال : أخشى أن يتصل بي كبار الرؤساء والقيادة .

قال : لا تخشى شيئا ستتصرف زوجتك .. ألم تتحدث معها من الكابينة كما أخبرتنا مدام سلمى ؟

تبسم فارس لهذه المداعبة ، فالرجل يريد أن يشعره أن حركاته مراقبة ربما منذ خروجه من البيت وربما منذ خروجه بصحبة المرأة من النادي الليلي فقال : نعم ، نعم .. لقد طمأنت زوجتي فليس من عادتي التأخر عن النوم في البيت إلا لظروف العمل يا حضرة ..

وبينما هم على هذا الحال طرق الباب طرقا خاصا فقال الرجل السمين : " لعله الزعيم يا سيد فارس "

فتح الباب ودخل منه رجل معتدل القامة فقال له السمين : لقد وصل يا سيدي .. وهو في غرفة الاستقبال .

قال : شكرا مراد .

ومشى نحو غرفة الاستقبال حيث يجلس فارس وسلم عليه وعرفه على نفسه قائلا : ناصر حمزة .. أهلا بالأخ فارس .. أنا رسول القوم إليك .

تصافح الرجلان ورحبا ببعض وقال فارس : أنت رسول القوم .. هات ما عندك أيها الرسول لقد تأخرت عن أهلي وبيتي !

قال: لقد تأخرنا يا سيدي العميد لأجل الاحتياطات الأمنية، فنحن نقوم بعمل خطير جدا كما تعلم يا أبا عمر .. وزوجتكم على علم بسهركم .. باختصار يا سيدي العميد نحن نريد ضمك لنا .. تعمل لنا تصبح رجلا منا .. فقد وضعتك الأقدار في طريقنا .

فقال: منكم .. من أنتم ؟!

قال: ستعرف كل شيء رويدا رويدا .. المهم أن تتعاون معنا ومع الأيام ستعرفنا وتثق بنا وقد تصبح زعيما من زعمائنا .. المهم أن توافق على التعاون معنا وتطلعنا على أسرار التحديث الجديد في القوات المسلحة .. أنواع الدبابات أعدادها بلد المنشأ .. الآليات العسكرية مواصفاتها .. الطيران .. الدفاعات الجوية .. الصواريخ أنواعها وقدرتها .. كل شيء تريدون تطويره وتحديثه يا سيدي العميد .. نريد كل المعلومات المهمة .. وعند تسلمنا أول تقرير سيوضع لك مبلغا ترضاه في حساب خاص في أوروبا حيث تشاء أو في آسيا الجنوبية .. .. المهم أن تعلم الآن أننا شبكة عالمية .. ولست وحدك في الميدان ..نأخذ أسرار الجيوش ونبيعها للخصوم .. نسرق أسرار الباكستان ونبيعها للهند وايران .. أسرار الهند نبيعها لباكستان والصين.. التسليح السوفيتي للولايات المتحدة والعكس .. وهنا لإسرائيل وغيرها

فقال: واذا كشف أمري للسلطات ماذا ستصنعون لي ؟!

قال: امر كشفك يا سيدي ليس سهلا .. ولنا رجال في كل مكان .. سندبر أمرك ، وستجد نفسك في أوروبا أو الأرجنتين أو البيرو .. نحن لا نتخلى عن أعواننا وجنودنا .. وأنت ضابط ماهر ومهم ، قد نلحقك بجيشنا السري .. ولتعلم أنك لست وحدك تتعاون معنا في هذه الدولة فموقعك الاستراتيجي دفعنا لمغازلتك حضرة المهندس فارس.

فقال: ألكم جيش سري ؟!

قال: ليس هنا .. المطلوب منك الآن الموافقة على العمل والتعاون معنا .. فكشفت لك من أول لقاء الكثير من الأسرار .

فقال: لن أكثر الجدل ، فمبدئيا موافق على العمل معكم ؛ ولكني أريد مواثيق حتى أطمئن لكم ولا تغدروا بي بعد كتابة أول تقرير .. المال وحده ليس ضمانة يا سيد حمزة .

فقال: المهم أنك موافق على العمل معنا .. هذا بالنسبة لنا الآن هو المهم .. وسنقوم ببعض

الاختبارات حتى تطمئن نفوسنا إليك .. السرية مهمة جدا في عملنا .. ستصلك التعليمات ويتجدد اللقاء .. يمكنك الآن الانصراف .

فقال: أنا رضخت ليس خشية على حياتي ؛ إنما الخشية على الأسرة والأقارب.

قال: نعلم ذلك.. نعلم ذلك.

نهض الرجل قائما وقلده المدعو مراد وفعل مثلهما فارس وهو مرتبك وقال : أشكرك سيد حمزة .. اختبروني كيف شئتم ؟ من المهم أن أحمي نفسي قبل تسليمكم أول تقرير .

قال: لا بأس من حقك أن تحمي نفسك .. سيكون لديك جواز سفر لدولة أمريكية وجنسيتها وتستطيع السفر به في أي لحظة إلى أي بلد من العالم .. سنقوم بتدريبك على التنكر بهذه الشخصية .. ففي أي لحظة تشعر بالخطر تنكر وارحل

فقال: جيد هذا ابتداء .. أشكرك !

وساقه مراد السمين لمدخل العمارة ، فوجد فارس سيارة في انتظاره، فتسأل عن سيارته فقيل له : اركب بعد قليل ستصل إليها إنها في الطريق .



عاد للبيت منهكا منهار القوى مضعع الفكر والعقل يقول لنفسه : " ما الذي رماني بهذه المغامرة ؟ .. أين أنت يا أمين "

لم يستطع النوم تلك الليلة ولم يستطع الكلام أمام زوجته إنما كان يقول : الأمر خطير يا أم عمر .. أرجوك لا تسأليني عن شيء عنهم ، يخيل لي أحيانا أنني أعيش في حلم أو أشاهد فيلما .. أنا جاسوس ؟! لمن لا أدري .. اذهبي لفراشك إن النوم طار من رأسي .

قضى فارس الليل أو ما تبقى من ساعات الليل يشرب القهوة ويفكر بالمغامرة التي تورط فيها والشبكة التي سقط بين براثنها ليلة أمس .. نادي .. سلمى .. دوران .. دكان .. مقهى

.. سائق أخر .. عمارة .. الرجل السمين .. حمزة .. عودة مع سائق آخر .. ثم قال : أين كان رجال المخابرات ؟! .. هل كان أمين معي ؟؟ أم ضاع رجاله .. ؟ لا .. أمين رجل ذكي وشجاع .. الموت واحد وسأستمر في هذه المغامرة مهما كلف الأمر .. يا أنا يا هم ! .. جواز سفر أرجنتيني أو فنزويلي .. تنكر .. شخصية أخرى .. أين أنت يا أمين ؟ .. أنا ليس لدي خبرة للتعامل مع الجواسيس والشبكات .. سأتعلم بإذن الله تعالى .



٣

في مطعم أفراد وعسكر القيادة العامة للجيش التقيا فارس وأمين وحدثه بالتفاصيل عن لقائه عصابة الجواسيس فقال : من تراه رئيس كل هؤلاء ؟

قال: لا ادري يا سيدي؟ ألم تعرفوا العمارة؟

قال: فشلنا في المتابعة ، سخروا منا تبعنا سيارة أخرى.. هل يمكنك معرفة المكان ؟

فقال : كنت في سيارة لا يرى خارجها .. الزجاج اسود يمنع الرؤية .

قال: يا عميد فارس هل يدل كلامهم أنهم من البلد؟

فقال بلا تردد : اعتقد .. يتكلمون مثلما أتكلم معك، ووجوههم كوجوهنا

قال المقدم: لو قبضنا على صغارهم لن تستفيد الدولة .. هل تعلم أن زميلا لك العميد زيد عبد القادر الطيار حدث معه ما يجري معكم ؟ وكلفنا الرئيس بالتعاون معه ، فهو كما تعلم قائد سلاح الجو العسكري.

فقال : العميد زيد عبد القادر الكابتن الكبير معنا في فريق التحديث ..هل قابلهم ؟!

قال : قابل مجموعة أخرى يبدو من تفصيلات كلامك أسماء أخرى وأوصاف غير ما فهمته منك ..

فقال : أجانب .

فقال : هل هما مجموعتان مختلفتان أو مجموعة واحدة لم نتفق على تحديد الأمر.. على كل حال اذا حدث موعد جديد نبأنا به يا سيدي العميد .. القضية كبيرة أنت أكيد تحت عيونهم .



عقد مدير المخابرات العامة بحضور مدير الاستخبارات العسكرية والشرطة اجتماعا طارئا بعد أيام من لقاء فارس وشبكة العملاء واخبرهم عن خطف العالم رونسو من بيت

الاختفاء، وهذا يدل على اختراق للجهاز وللدائرة المحيطة بالعالم ، فقال تحدث يا تيسير عن الموضوع أمام الكادر من مدراء جهاز المخابرات ، وسيتم اختبار الكوادر والعناصر تحت جهاز الكذب من البواب حتى أنا ، لا يعلم مكان العالم إلا كوادر الجهاز .. تفضل تيسير.

قال تيسير : تعلمون أن دكتور رونسو تعرض في الفيلا لتهديد مباشر من شخصين مقنعين وطلبوا منه أوراق وملفات المشروع الذي يقوم به ، وقمنا بعملية تمويه ونقل لشقة آمنة وحراسة خاصة منا لفترة حتى يقبض على المقنعين.. وكيف اخترقوا السور الأمني حول الفيلا ؟ ومعرفة جهة الاعتداء .. ثم تبين أنهم عرفوا وكشفوا مكان الإخفاء الجديد وتعرض للخطف وقتل الحراس في الشقة المقابلة المكلفون بحمايته ومراقبته على مدار الساعة ، لم يسمع أحد صوت الرصاص ، وخدر الرجل وخطف وفقد بواب العمارة حياته أثناء رجوعهم بالعالم ، ويبدو أن خمسة شاركوا بعملية الخطف والقتل ، ولما حضر ضباط المناوبة التالية اكتشفوا ما حدث .. وهذا قبل ساعات من الآن قرب الثانية ليلا

فقال المدير : إذن الاختراق من عندنا في الجهاز ناس تعمل مع العصابة .

فقال مساعده : ألا يمكن أن يكون هناك ثغرة نفذ من العصابة؟

فقال المدير : الرجل رحل من أيام ، ولا احد يعلم إلا نحن المجتمعون هنا ، ومن نقودهم.

قال نائب مدير الاستخبارات العسكرية مرسم لازمي: أمين حسن والمقدم تيسير

فقال المدير : لا يعلم بنقل العالم المقدم أمين ولا المقدم تيسير وهو يشتغل على قضية العميد فارس ، والمقدم تيسير على قضية العميد زيد .. شكلوا فريق عمل لمتابعة وكشف خطف رونسو مايكن .. فالرئيس ورئيس الحكومة غاضب علينا وعلى تقصيرنا .. وتلويح واحتمال بإنهاء عملنا وارد.



٤

جلس أمين وتيسير وشركاؤهم في قضية العميدين يتناقشون بالفروض المساعدة للقبض على الشبكة أو الشبكتين عدة ساعات ، فهم على مطاردة ومتابعة لزيد حيث رتبت العصابة موعدا الليلة ، وكيف سيتخلصون من التضليل خلال التنقل في السيارات رغم رصدهم لأرقام السيارات في مطاردة فارس تبين أنها مزيفة لا مكان لها في دائرة ترخيص المركبات الوطنية .

في نصف الليل خرج زيد عبد القادر إلى ملهى ليلي خارج المدينة في الطريق إلى مدينة ومديرية أخرى ، ثم انحرف بعد الابتعاد عن المدينة بعشر كيلو مترات باتجاه الملهى والنادي الليلي "كلب سفن " الذي يديره توماس جاردلي الأوروبي وحتى كل خدم الملهى من أوروبا ما عدا الحرس الخارجي من شركة أمن محلية ، فأغلب رواده غربيين ، وكان الماء المنهمر يزداد من أبواب السماء ، صف سيارته في ساحة الملهى ، ودخل الباب الرئيس لصالة النادي ، دل على مكتب المدير توماس ، وعرف بنفسه وجلس بإشارة من توماس ، وقدم له كوبا صغيرا من الشراب ، فاعتذر عن تناول الخمر ، فهز توماس رأسه وقال : لا تشرب حسنا ! مارك في الطريق تحدث معي قبل قدومك .

لم يطل الانتظار فقد جاء مارك وصافحهم ، وأخذ بيد زيد ، وعادا لموقف السيارات المكشوف أمام صالات الملهى ، وطلب منه أن يركب بجواره وخرجا من الملهى ، والليل العاصف والظلام الدامس يخيمان على المنطقة ، ورجعا على طريق المدينة ، وفي الطريق كانت سيارة تقف في انتظارهم فأشار إليه مارك أن ينتقل إليها ، ففعل فرحب به السائق ، وكان غربيا مثل مارك ومدير الملهى ، ولزمهم الصمت ، وقبل أن يدخل المدينة الكبيرة انتقل لسيارة ثالثة ، دارت في شوارع المدينة زمنا يقارب نصف ساعة والصمت شعارهم ووقفت أمام مبنى ، وطلب منه الدخول من العمارة إلى الشارع المقابل حيث سيجد سيارة سوداء في انتظاره ، وفعلا وجدها وتحدث معه سائقها طالبا منه الصعود وفعل ، وبعد حين وجد نفسه

يهبط في موقف سيارات تحت الأرض ، وركبا المصعد إلى الطابق الثامن ، ويستقبل في شقة ورحبت به فتاة أجنبية نحيفة الجسم ، وعرضت عليه مشروبا ، فطلب قهوة ، فقد لفه الصداع من هذه الرحلة الغامضة لإجراء لقاء تعارف ، وبعد شربه القهوة سيق لمكتب فوجد رجلا غربيا ينتظره ، ويعلمه أن القيادة العليا للجيش اتصلت ببيته وأن زوجته أعلمتهم بخروجه للسهر ، وسيؤجل اللقاء لموعد آخر ، وحصل ذلك وعاد للبيت بسيارته التي وجدها مركونة في وسط المدينة.



التقى زيد وضابط الأمن السري تيسير محمد وسمع الأخير ما جرى معه ، فقال: لما فقدناك تحدثنا نحن مع البيت وزعمنا أنك مطلوب للقيادة لأمر طارئ حتى يلغو الاجتماع بك لديهم خطط تمويه شيطانية ؛ وخشينا أن يغدروا بك ، وهم كما رجحنا يتنصتون على هاتفك .. المشكلة يا سيدي أن الشوارع في الليل خالية من زحمة السيارات أو قل قليلة فتكشف عناصر المراقبة والمتابعة بسهولة .. فالحمد لله على السلامة .. هل كونت انطباعا ما عنهم؟

قال: سلمكم الله .. الملهى مديره اجنبي إنجليزي بدا لي .. ومايكل اذا كان هذا اسمه الحقيقي ، ولا اعتقد ذلك .. تحدثنا بالإنجليزية، وجميع السائقين يتظاهرون بأنهم أجانب وفتاة العمارة عربية أو إسرائيلية تتقن العربية ؛ ربما من بلد عربية جذورها .. هكذا بدأت لي من الوهلة الأولى.. ورجل المكتب شكله أوروبي.

فقال : هذا على خلاف من قابلهم زميلك العميد فارس ، هم يعلمون أننا نطاردهم .. فهل يعلمون بتعاونكم معنا ؟ فعملوا هذه الأدوار ليظهروا أنهم اكثر من جهة ؛ لكن هدفهم واحد .. فهذا يرجح أنهم مجموعة واحدة بعدة رؤوس.. على كل نحن سننتظر الموعد

الجديد وقد يكون قريبا

*****

مع مطلع العام الجديد تحدد اللقاء ، ليلة الاحتفال برأس العام الميلادي ، تلقى فارس رسالة بريدية قبل الموعد بأيام، وفي نفس الوقت الطيار زيد موعدا ، ستبدأ رحلة فارس بعد منتصف الليل إلى ملهى الشملاوي ؛ ولكنه لن يدخل الملهى حيث يجري السكر والصخب والاحتفال ، سيجد مستقبله خارج أسوار الملهى، وأما زيد فلن يذهب للملهى ويقابل توماس فسوف يكون المكان غاص بالأجانب للاحتفال ، سيجد مايكل أمام دار " سينما صن" أي الشمس، فاكثر روادها غربيون .

وكان رجال المخابرات مسرورين لهذا التوقيت ، ستكون حركة وسيارات كثيرة في شوارع المدينة والملاهي وسيسهل الانتقال دون الاشتباه بسياراتهم المراقبة.

وصل فارس لباب الملهى وظل في السيارة مدة عشر دقائق عندما رأى احدهم يقترب من السيارة يتكلم معه، فخرج ليواجه البرد والهواء الثلجي واغلق السيارة وتبع باسم السائق وركب بجواره وانطلقا في شارع الحرية، وبعد محاولات تمويه وصلا للعمارة التي دخلها المرة الأولى ، وصُعد به إلى الطابق الثامن حيث وجد ناصر حمزة في انتظاره.

وكان زيد يترك سيارته في شارع سينما صن وبعد دقائق حياه مايكل ، ويقوده لسيارته ، وبدأت حركة الخداع حتى وصل للعمارة التي زارها من قبل ، وقابل نفس الشخص الذي وضع أمامه مبلغا كبيرا ، وهو يقول : هدية بمناسبة قبولك اللقاء ، وأنت تعلم ثمنها، وهي الحصول على برامج التحديث والأسلحة الحديثة في سلاح الجو .. فإسرائيل ستدفع لنا الكثير وحتى بعض الدول العربية مهتمة بالأسلحة نوعا وكما التي تعاقدتم عليها لإعادة المجهود الحربي بعد هزيمتكم الكبرى .

وضع العميد المبلغ في سرواله ، واتفق معهم على مكان تسليمهم الملفات وكشوف التسليح وعناصر الوحدة ليستلم باقي المبلغ الذي اتفقوا عليه ، وقبل طلوع الفجر كانت قوات

الجيش والشرطة والمخابرات العسكرية والمدنية تقتحم المبنى كله ، وتعتقل كل من الطابق الثامن ، وتفتش كل العمارة ، وتضعها تحت الحراسة ، ولم تسمع لاحد بالمغادرة .
فقد نجحت الأجهزة الأمنية بالوصول إليها ، واقتيد فارس وزيد للتوقيف مع رجالات العصابة لاستمرار الخداع للمجموعة والشبكة التجسسية .
بعد أيام وجدت جثة العالم رونسو في احد ى الحدائق العامة ، وقد اطلق على رأسه النار ، واشتغلت الشرطة بالتحقيق بحضور جنايات المخابرات والشرطة العسكرية.
وهذا الاغتيال متوقعا بعد الاعتقالات التي حدثت في عمارة جوليا دابر ، وانتشر خبر مقتل الكيميائي في الإذاعات المحلية والشرطة . وفي دائرة المخابرات العامة كان المدير العام يخبر مدراء الجهاز باختفاء مساعده مرسم لازمي من يومين ، وأعلن الشك بإخلاصه للدولة والشعب ، وبعد أسبوع اعلن عن مقتله ، ووجود جثته قرب حدود دولة مجاورة .. هل كان هاربا أم مخطوفا ؟ فقد كان يرفض الجلوس لجهاز الكذب بعدما دخل الشك للدائرة واعتبر ذلك إهانة وأن يشك في إخلاصه بعد هذا العمر والترقيات والأوسمة التي تزين صدره .



٥

تلقى رئيس الجهاز رسالة خطيرة موقعة باسم العالم الدكتور رونسو مايكن الألماني الشرقي نسبة إلى ألمانيا الشرقية بعد تقسيم ألمانيا يكشف له فيها أن العالم الذي قتل كان مزيفا وأنه هو الزعيم الكبير للشبكة ، وأن رونسو هو الذي قتل حرسه ، وتم اختفاؤه لانتهاء دوره ، فلم وقعت العمارة تم التخلص منه ، ومن مرسم لازمي الضابط الذي يعمل معهم داخل جهاز الاستخبارات ، فلا تظنوا أنكم انتصرتم علينا .. سترى جماعتنا بينكم بوجوه جديدة ؛ وليكن العميدان فارس وزيد تحت حمايتكم ، لقد كان تعاونهما معنا بوقت قريب مريب لي بعدما رفضهما بشدة وعناد ، وتهاونتا في تعليل ذلك ، واحترم ذكائكم في كشف العمارة واعلم أن مدير الملهى توماس لا يد ولا علاقة له بالشبكة .. هو أداة دون اهتمام .. فلا داعي للتنصت عليه فهو قواد وسكير .

درس الضباط رسالة من زعم أنه العالم رونسو الحقيقي ، وترجح لديهم صدق ما فيها ، وأن العالم لم يكن الحقيقي ؛ لأنه بعد التعاقد معه بشهر مرض ودخل المستشفى عدة أيام فتغير وجهه وسحنته بحجة المرض ومشاكل في الكلية والصحة.

قابل المدير رئيس الدولة وقدم له التقرير النهائي في قصة شبكة الجواسيس وعمارة جوليا وخيانة مرسم ورسالة الزعيم الحقيقي للشبكة ، وأن المعركة مستمرة مع شبكات الجاسوسية في الوطن.



المكتبة الخاصة ٢٠٢١

